المحاضرة الرابعة:عصر الإمارة الأموية في الأندلس(١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٩م)

يبدأ هذا العصر الثالث بالأندلس منذ وصول عبد الرحمن بن معاوية (عبد الرحمن الداخل) وتأسيس إمارة أموية مستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق,واستمرت هذه الإمارة حتى إعلان الخلافة في زمن عبد الرحمن الناصر سنة(٣١٦هـ/٩٢٩م.(تداول حُكم هذه الإمارة و ارثة سبعة من الأم اء الأمويين أشهرهم: عبد الرحمن الداخل والأمير هشام والحكم الأول وعبد الرحمن الأوسط **(الثاني)** ومحمد وأولاده. كيف وصل عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس؟ وكيف انتصر على والي الأندلس يوسف الفهري والـ ُصميل بن حاتم؟ ولماذا ُسمي عبد الرحمن بالداخل وبصقر قُريش؟ أخذ العباسيون عند قيام دولتهم سنة(١٣٢هـ/٧٥٠م) يتبعون أم اء بني أمية ويبطشون بهم,فاختفى من استطاع الف ار منهم عن العيون,مما جعل العباسيين يعلنون أماناً كاذباً لهم خدعوهم بعد أن دبروا لهم مذبحة نهر أبي فطرس (مدينة الرملة) بفلسطين التي ار ضحيتها عدد كبير منهم,فهربت القلة الباقية التي نجت من الموت وتفرقت في بلدان الدولة العربية الإسلامية لاسيما البعيدة منها تنشد الأمان,وكان من ضمن الفارين أمير شاب لم يتجاوز عمره العشرين من عمره هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام عبد الملك الذي أسعفه الحظ بالهروب بعد أن قُتل أخوته الثلاثة (ابان,يحيى وسليمان) وعاين هو الموت أكثر من مرة,فوصل إلى فلسطين حيث لحق به مولاه بدر وسالم أبي شجاع غلام شقيقته وكان يحملان إليه نفقة شيئاً من المال,وأنطلق متخفياً عن أعين العباسيين وجواسيسهم إلى أن وصل إلى مصر ثم سار إلى برقه ثم رحل إلى إفريقيه (ليبيا وتونس) التي كان يتولاها الوالي عبد الرحمن بن حبيب الفهري,الذي خاف على إمارة إفريقيه والمغرب من أم اء بني أمية الفارين إليها من المشرق,فصار يقتل كل من يدخل إليها منهم,والتجأ عبد الرحمن إلى أخواله من قبيلة نفزه من البربر التي كانت تقيم على الأرجح قريباً من مدينة سبته بالمغرب الأقصى حيث أخذت أنظاره تتجه نحو الأندلس التي كانت الأحوال فيها مضطربة بسبب الفتن والحروب **الأهلية** بين العرب والبربر.

و أرى عبد الرحمن أن يبادر بالاتصال بزعماء موالي بني أمية في الأندلس,فبعث مولاه بد ر رسولاً إليهم والذي عبر إلى الأندلس يحمل رسائل سيده فلقي منهم القبول والعمل على إنجاح هذه الدعوة,وحينما أطمأن عبد الرحمن لنجاح دعوته عبر إلى الأندلس حيث لُقب بالداخل لأنه أول من دخل من بني أمية إلى الأندلس ولُقب بصقر قُريش بفضل ما أمتلكه من قوة ودهاء سياسي وقام بتأسيس الإمارة بالاعتماد على جهوده الذاتية ولم ُيلقب بلقب خليفة بل ُسمي ابن الخلائف كذلك أبو الملوك .

وحينما علم الوالي يوسف الفهري وصاحبه الـ ُصميل بن حاتم بذلك حاولا تسوية الأمر مع عبد الرحمن الذي بايعه أنصاره من موالي بني أمية بالإمارة,إلا أن المحاولات قد فشلت وبالتالي لم يبقى إلا الحرب بين الطرفين,فأخذ كل منهما ُيحشد قواه فأخذت مجموع من قبائل تفد إلى عبد الرحمن الداخل من أنحاء الأندلس فتقدم ونزل باشبيلية سنة(١٣٨هـ/٧٥٦م) في حين بدأت بطون مضر والقيسية تتوافد على الـ ُصميل ويوسف وكان قد أنتقلا إلى قرطبة وبحلول فصل الربيع التقى الجيشان على ضفاف نهر الوادي الكبير بالقرب من قرطبة ثم أشتبك الجيشان في معركة في موضع ُيسمى (المصارة) في صباح يوم عيد الضحى١٠ذي الحجة سنة(١٣٨هـ/٧٥٦م) فأنتصر عبد الرحمن الداخل إنتصا ً باه ً أسرع على أثره ودخل قرطبة حيث نزل بقصر الإمارة ثم صلى بالناس وخطب على جند قرطبة,ويعد ذلك اليوم ميلاد الدولة الأموية في الأندلس,بل ميلاد عصر جديد في تاريخ الغرب الإسلامي كله (المغرب والأندلس), أما يوسف الفهري فقد هرب إلى طليطلة,وأما الـ ُصميل فمضى إلى جيان ليجمع جيشاً من القيسية يناوئ به الأمير عبد الرحمن الداخل وبعد ذلك أستأمن كل من الـ ُصميل ويوسف من عبد الرحمن فأمنهما فنكثا عليه,وأنهى الأمر بحبس الـ ُصميل وموته مخنوقاً في سجنه,أما يوسف الفهري فقد تشرد في نواحي الأندلس حتى قُتل في طليطلة.

أصبح عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل أمي ً على الأندلس وكان رجلاً موهوباً جمع صفات كثيرة منها السيادة والحزم والسياسة والدهاء وُبعد الهمة وحسن التدبير رغم صغر سنه. تشير بعض الروايات إلى أن الأمير عبد الرحمن قد خطب لأبي جعفر المنصور العباسي لبضعة أشهر ثم قطع الخطبة للعباسيين وأعلن نفسه أمي ً مستقلاً ثم جمع أنصاره من حوله وبعث لجلب أهله من بني أمية في المشرق ليأتوا عليه,وبفضل قد ارته تمكن من السيطرة على الأوضاع الداخلية بالقضاء على الثو ارت والتمردات ,واحلال سلطة الإمارة بدل من السلطة القبلية كذلك ضبط الأمن بإنشاء جهاز الشرطة وكّون جيشاً مكوناً من١٠٠ألف فارس من العرب والبربر والعبيد السود فضلاً عن حرسه الخاص.

ولاستكمال الصورة عن جهوده في تأسيس الدولة الأموية في الأندلس لابد لنا أن نشير بإيجاز إلى جهوده الأخرى,وأول ما يذكر في هذا المجال جهوده في دفع الحركة الحضارية في البلاد إلى الأمام,فقد عمل منذ البداية على إحياء ما أنقرض من دولة بني أمية,فقد عمل على نقل الإدارة العربية الأموية في المشرق إلى إمارته بالأندلس,فدّون الدواوين,وطبق النظام الحربي الأموي,وجّند الأجناد,حيث بلغ جيشه النظامي أربعين ألفاً من الموالي الذين اشت ارهم من ساداتهم ثم من بربر العدوة المغربية الذين استقدمهم لهذا الغرض,بعدما لمسه من أن جند الأندلس كانت قد أفسدتهم العصبية القبلية,بينما ُيذكر ابن حيان في كتابه المقتبس أن عدد جيشه بلغ مائة ألف فارس فضلاً عن الجند الذين كانوا ينضمون إليهم من الاقطاعات العسكرية عند الحاجة.

أ. الأخطار الداخلية-: حركات المعارضة للـ ُحكم الأموي

قضى عبد الرحمن الداخل كل سنوات حكمه تقريباً في كفاح داخلي وصـ ارع خارجيفقلل من شأن الارستق ارطية العربية باستخدام غير العرب واصطناع الموالي وقضى على الزعامة القبلية بالتخلص من تحدثه نفسه بالثورة أو التمرد وكان لا يتورع باستخدام الأسلوب الميكافيلي (الغاية تُبرر الوسيلة),وحاول ما استطاع أن يؤمن حدود الدولة الإسلامية في الأندلس ضد الممالك الإسبانية في الشمال والإفرنج وكان يقود الجيوش بنفسه ومن أهم المؤام ارت والتمردات التي حاولت الإطاحة بحكمه هي-:

١.القضاء على ثورة الوالي السابق يوسف الفهري ومعاونه الـ ُصميل بن حاتم سنة١٤٢هـ.

٢.القضاء على ثورة هشام بن عروة الفهري أحد زعماء القيسية في طليطلة سنة١٤٤هـ.

٣.تمرد سعيد اليحصبي الذي ظهر هذا سنة١٤٩هـ وذلك انتقاماً لمقتل العلاء بن المغيث فانضمت إليه أعداداً كبيرة من أهل أشبيلية فتمكن الأمير عبد الرحمن من القضاء عليه.

٤.تعرض الأندلس في سنة١٥٢هـ إلى فتنة خطيرة استمرت إلى سنة١٦٠هـ كان زعيمها بربري من المغرب واسمه ُشقيا بن عبد الواحد وأدعى أنه من سلالة الرسول محمد (ص) من ولد الحسن بن علي وأنه فاطمي وسمى نفسه (عبد الله بن محمد) وذاعت دعوته فأنضم إليه خلق كثير,فوثب على عامل ماردة فقتله وتغلب على ناحية (قورية),فخرج الأمير عبد الرحمن لقتاله فهرب وأعتصم بالجبال ولم يتمكن من إخماد ثورته إلا بعد سنة١٦٠هـ عندما تمكن اثنان من أصحابه بقتله ٍوارسال أرسه إلى الأمير الأموي بقرطبة وبذلك أخمدت ثورته.

٥.كذلك دبر أبن أخيه الوليد بن المغيرة بن معاوية مؤامرة لعزله في سنة١٦٦هـ اشترك فيها ُهذيل بن الصميل بن حاتم مع عدد آخر من المعارضة ولكن الأمير أكتشفها وأحبطها وقتل جميع المشاركين فيها.

ب. الأخطار الخارجية

كان الخطر الأول هو ثورة كبيرة أشعلها العلاء بن المغيث الجذامي في باجة شرق الأندلس في سنة (١٤٦هـ/٧٦٣م) الذي كاتب أبا جعفر المنصور العباسي فبعث إليه بسجل ولواء وهكذا أصبح العلاء رجل العباسيين في الأندلس إلا أن الأمير عبد الرحمن تمكن من حصاره لفترة طويلة ثم قتله ٍوارسال أرس العلاء والسجل واللواء مع أحد الـ ُحجاج الأندلسيين فقام هذا بوضعها أمام سـ اردق المنصور الذي كان في

الحج في ذلك العام،وحينما أرى المنصور ذلك أرتاع وقال: (إنا الله،عرضنا بهذا المسكين للقتل,الحمد الله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان)

وكان الخطر الثاني هو الأشد لأنه أتخذ أبعاداً دولية واشتركت فيه أطـ ارف متعددة دبرها بعض ثوار الأندلس من المعارضين للأمير عبد الرحمن في سنة(١٦١هـ/٧٧٨م) بالإتفاق مع الخليفة المهدي العباسي وشارلمان ملك الفرنجة الذي كان قد فرغ من حروبه في ألمانيا،فهي عبارة عن مؤامرة كبرى, استهدفت تقويض الإمارة الأموية الناشئة وخطتها أن يثور كل ثائر في منطقته في الوقت الذي يقدم كل من عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي وشارلمان بجيشه إلى الأندلس لتتوزع جهود الأمير عبد الرحمن الداخل وُيسهل القضاء عليه إلا أن إنعدام التنسيق بين أطـ ارف هذه المؤامرة وشجاعة عبد الرحمن الداخل ورباطة جأشه أفشل هذه المؤامرة وانتصر على أعدائه حتى أضطر شارلمان إلى مهادنة الأمير عبد الرحمن الداخل ليتفرغ لمواجهة مشاكل أخرى في إمبـ ارطوريته.

جدول أمراء الدولة الأموية في الأندلس:

١.عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل (صقر قُريش)(١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٥م)

٢.هشام بن عبد الرحمن الملقب بالرضي(١٧٢-١٨٠هـ/ ٧٨٨-٧٩٦م)

٣.الحكم بن هشام الأول الملقب بالربضي(١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢٢م)

٤.عبد الرحمن بن الحكم (عبد الرحمن الثاني أو الأوسط)(٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م)

٥.محمد بن عبد الرحمن الثاني(٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م)

٦.المنذر بن محمد(٢٧٣-٢٧٥هـ/ ٨٨٦-٨٨٨م)

٧.عبد الله بن محمد(٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م)

٨.عبد الرحمن بن محمد (عبد الرحمن الثالث الملقب الناصر لدين الله)(٣٠٠-٣١٦هـ/ ٩١٢-٩٢٩م). كأمير ثم أعلن الخلافة(٣١٦-٣٥٠هـ/ ٩٢٩-٩٦١م),(ودام حكمه٥٠سنة و٦أشهر وهي أطول فترة يتولاها أمير أو خليفة)

أهم الأحداث في عصر الإمارة الأموية:

١)انتشار المذهب المالكي في الأندلس:

كان المذهب الذي انتشر في الأندلس هو المذهب الأوازعي نسبة إلى الفقيه عبد الرحمن بن عمر الأوازعي الذي ولد في مدينة بعلبك سنة٨٨هـ وكان هذا مذهب أهل الشام فقد حمله المهاجرون والقادمون من بلاد الشام إلى الأندلس في عصر الولاة(٩٥-١٣٨هـ) مع الوالي بلج بن بشر القشيري

ونال قبول أهل الأندلس لأنه يدعو بتشريعاته إلى الجهاد وفي عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الملقب بالرضي(١٧٢-١٨٠هـ) بدأ أهل الأندلس بالتحول من المذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي نسبة إلى إمام دار الهجرة مالك بن أنس (ت١٧٢هـ) وهو مذهب أهل المدينة ومن أهم أسباب هذا الانتشار هي:

- تأثر بعض الحُجاج الأندلسيين بفقه الإمام مالك بن أنس عند زيارتهم المدينة المنورة وبعضهم تتلمذ عليه ودرسوا كتابه المشهور الموطأ (السهل الواضح) وعند عودتهم بدأوا بنشر كتابه ومذهبه.
- موقف الإمام مالك من الخلافة العباسية وخاصة بعد مقتل محمد ذو النفس الزكية العلوي سنة١٤٥هـ وأخيه إبراهيم في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور فاصدر مالك فتوى بحل البيعة من بني العباس فقامت الخلافة العباسية بسجن الإمام مالك وضربه بالسياط ولهذا السبب وافق الأمويون على إدخال مذهبه للأندلس.
- الطبيعة الجغرافية والاجتماعية لبلاد الأندلس و سُكانها حيث كان مذهب مالك يُناسب عقليتهم.
- كان الإمام مالك معاصراً للأمير هشام بن عبد الرحمن مُعجباً به لا يكف من الثناء عليه وكان ذلك يبلغ هشاماً فيستريح إليه،فلما وفد على الأندلس أوائل تلاميذ مالك الذين درسوا عليه من أمثال: الغازي بن قيس،زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون،عيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند وغيرهم،رحب بهم هشام وجالسهم وأذن لهم بتدريس مذهب مالك بين المسلمين بالأندلس وأخذ القضاة بالحكم به،ثم أتخذ كبار المالكية قضاة وفقهاء ومشاورين،أي أهل شورى يستفتيهم الأمير فيما يحتاجه،وشيئاً فشيئاً أصبح المذهب المالكي المذهب الرسمي في الأندلس وهو العنصر الحضاري الوحيد الذي قبلته الإمارة الأموية الأندلسية خارجاً من نُظُم الأمويين في المشرق.

٢)ثورة الربض سنة٢٠٢هـ/٨١٧م:

واجه الحكم الربضي(١٨٠-٢٠٦هـ) العديد من الثوارت إلا أن ثورة أهل الربض في قرطبة كانت هي الأشد خطراً وكانت السبب في تلقيبه بالربض،وقد اشتعلت هذه الثورة في (رمضان سنة٢٠٢هـ/ آذار ٨٢٥م) نتيجة حادث بسيط إذ اعتدى أحد حارس الأمير الحكم على حداد لصقل السيوف في حي الربض وقتله،فتجمع الناس على حارس الأمير من المماليك وقتلوه وأندلعت الثورة وقصدت جموع الثوار إلى قصر الأمير الحكيم لمهاجمته بمساعدة بعض الفقهاء ومن أهم أسباب هذه الثورة:

-سوء سياسة الأمير الحكم باستخدام مبدأ القوة والبطش والعنف مع الرعية.

-دور الفقهاء في دعم الثورة لأن الأمير الحكم جردهم من كافة صلاحياتهم التي تمتعوا بها سابقاً.

-شخصية الأمير الحكم الذي كان ميالاً إلى اللهو والشرب وهذا يتعارض مع الشريعة الإسلامية وقد تمكن الأمير الحكم إخمادها بقسوة بعد إشعال النيـ ارن في مساكنهم وأسواقهم فأسرعوا بالعودة حيث قابلهم فرسان الأمير وكان الجند المدافعين عن القصر قد هاجموا الثوار من الخلف فوقع هؤلاء بين نارين وقُتلت أعداد كبيرة ولم يكتفي الأمير الحكم بذلك,بل أمر بترحيل من بقي منهم إلى المغرب وهدم الربض وحرث أرضه وشنق بعض الفقهاء ولهذا اضطر الكثير منهم الهجرة إلى ُمدن أندلسية أخرى أو الرحيل إلى فاس والإسكندرية ثم استقروا في جزيرة أقريطش (كريت) ليؤسسوا دولة هناك استمرت١٣٥سنة وكان لهذه الهجـ ارت أثرها في إنتقال العلوم والمعارف والحضارة الأندلسية.

انتهت ثورة الربض بانتصار الأمير الحكم ولكنها كانت درساً بليغاً له ولمن جاء بعده,فقد أرى بعينه قوة الشعب الأندلسي واستعداده لإيقاف الحكام عند حدهم,ومن هنا نرى أن الأمـ اء والخلفاء سيكونوا بعد ذلك أكثر مـ ارعاة لمشاعر الناس وأحرص على ولائهم. ولم ُيسعد الأمير الحكم بحياته بعد أن قضى على هيج الربض (شقنده) فقد مرض وتطاولت به العلة وحل به الندم.

٣)هجمات النورمان:

ومن الأحداث المهمة في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني غا ارت النورمانديين (النورمان أو الفايكينغ أو المجوس) وهم ُسكان السواحل الإسكندنافية (الدنمارك,السويد والنرويج) فقد قاموا بغزو سواحل الأندلس الغربية والشرقية فكانت الغارة الأولى في سنة(٢٢٩هـ/٨٤٤م) على لشبونة فقاتلهم أهلها وصدوهم ثم أحتلوا أشبيلية سنة٢٣٠هـ فأسرع الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط) بإرسال الجيوش إليهم بقيادة عدد من كبار قواده واشتبكوا معهم وهزموهم فغادر من نجا منهم وبقيت مجموعة صغيرة منهم استوطنت الأندلس في منطقة الوادي الكبير ولم تلبث هذه المجموعة النورماندية أن أنتجت أجود أنواع الجبن الذي كانت تُصدره إلى اشبيلية.

ما هي أسباب غزو النورمان (المجوس) على الأندلس ولعدة مرات؟

-غنى الأندلس بكثرة ثرواته ووقوع كثير من مدنه على السواحل المفتوحة أو قُربها.

-ُضعف الأسطول الأندلسي وغيابه عن السواحل وعدم وجود حاميات وأبـ ارج مـ ارقبة.

-إنشغال الإمارة الأموية بالإضطـ اربات الداخلية من الفتن والتمرد وغيرها.

-كانت هجمات النورمان مباغته وسريعة من أجل التخريب والتدمير ومنها مسجد اشبيلية.

-الـــدافع الأساســي لهجمـــاتهم هـــو الســـلب النهـــب مـــن خيـــ ارت الأنـــدلس وثرواتـــه.
واحتاط الأمير عبد الرحمن الأوسط (الثاني) لأي غزو محتمل يقوم به النورمان فأمر بإنشاء دار لصناعة الأسطول باشبيلية,فأصبحت اشبيلية الميناء الأول في الأندلس,وكان لميلاد الأسطول الأندلسي نتائج مهمة,لأن هذا الأسطول قام بفتح ُجزُر البليار(٢٣٤هـ),ولعب دو ٍ خطي ٍ في تاريخ الأندلس بل في حوض البحر المتوسط بوجه عام,ثم تأسست دور لصناعة الـ ُسفن (الأسطول) في العهود التالية,إذ أقيمت دور للصناعة في المرية,قرمونه,القنت,مرسيه وبلنسيه, وسيكون هذا الأسطول الساعد الأيمن لأمـ اء وخلفاء قرطبة لغزو سواحل المغرب (بر العدوة) ومنافسة الفاطميين في شؤون البحر,واستخدموا في صناعة السفن أخشاب طرطوشه الصنوبرية وهو خشب مشهور بجودته وعدم تعرضه للتلف الناشئ من السوس,وقد تكرر هجوم النورمان في سنة٢٤٥هـ في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن والهجوم الثالث في سنة(٢٤٧هـ) وستتكرر

هجماتهم في عصر الخلافة(٣١٦-٤٢٢هـ) حتى تصل إلى ست هجمات.